المبحث السادس:
خصائص الرسالة المحمدية، وحقوق النبي ﷺ على أمته

أولاً: خصائص الرسالة المحمدية:

الرسالة المحمدية هي الرسالة الخاتمة وبها كمل الدين وتمت النعمة الربانية على البشرية، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

وتتميز الرسالة المحمدية عن الرسالات السابقة كلها بجملة خصائص منها[1]:

1 - إنها الرسالة الخاتمة والناسخة لما قبلها:

إن رسالة محمد ﷺ قد جاءت لتكون خاتمة الرسالات السماوية، وإن محمداً خاتم النبيين والمرسلين، فلا نبي بعده ولا شريعة سماوية تأتي بعده والاعتقاد بذلك أصل من أصول الدين، يكفر منكره، ويخرج عن دائرة الإسلام جاحده، وقد نص القرآن على ذلك وكذلك السنة الصحيحة وأجمع على ذلك المسلمون سلفاً وخلفاً[2].

- قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: 40].

فبهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده ﷺ وإذا كان لا نبي بعده

---

(1) ركائز الإيمان، ص: 338.

(2) عقيدة التوحيد من الكتاب والسنة، ص: 258.

فلا رسول بطريق الأولى والأحرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس[1].

فالنبي ﷺ ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده[2]، فقد انقطع إنباء الله للناس.

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، فالآية تؤكد أن الأمة لم تعد تحتاج إلى نبي يكمل لها دينها أو يتم عليها نعمة ربها، لأن الله ﷻ أكمله على يد رسوله ﷺ، ثم رضيه له ولأمته ديناً يعبدون الله به إلى يوم القيامة[3].

وقد أعلن النبي ﷺ أن رسالته خاتمة الرسالات وأنه عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين في أحاديث نبوية كثيرة منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«مثلي ومثل الأنبياء قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون ويعجبون ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: أنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»**[4].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بلحم، فرفع إليه

---

(1) تفسير ابن كثير (3/ 501).

(2) تفسير الطبري، آية الأحزاب رقم 40.

(3) عقيدة ختم النبوة، د. أحمد الغامدي، حقوق النبي على أمته، د. محمد التميمي (1/ 108).

(4) البخاري، كتاب المناقب (6/ 558) رقم 3534.

الذراع - وكانت تعجبه - فتنهس[1] منها نهيسة ثم قال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مما ذلك؟**» ثم ذكر ﷺ يوم القيامة وما يحدث فيه من استشفاع الناس بالأنبياء للحساب حتى يصلوا إليه ﷺ، فذكر ﷺ أنهم يقولون: أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، تشفع لنا إلى ربك[2].

- وقال رسول الله ﷺ: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون**»[3].

وقد وردت أحاديث متعددة متنوعة جميعها أكدت على مدلول واحد، هو انقطاع الوحي بعد النبي ﷺ وختم النبوة به وقد بلغ بعض هذه الأحاديث حد التواتر، كما أنها في جملتها متواترة تواتراً قطعياً[4].

فرسالته ﷺ هي الخاتمة الناسخة لما قبلها، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48]، فهو مصدق بها في العقيدة، فالكتب كلها تقول: أنه لا إله إلا الله وحده بلا شريك، والقرآن يقول نفس الشيء، والكتب كلها تقول: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: 59].

---

(1) النهس: أخذ اللحم بأطراف الأسنان.

(2) البخاري في صحيحه رقم 4712.

(3) البخاري رقم 3455.

(4) حقوق النبي على أمته، د. محمد التميمي (1/ 109).

والقرآن يدعو نفس الدعوة، ولكن القرآن مهيمن على ما بين يديه من الكتب في شأن التشريع، فهو يحمل الأخيرة المنزلة من عند الله، وشرعه هو الشرع الواجب الطاعة، ومن ثم فهو ينسخ كل ما أتى قبله مخالفاً له وعلى هذا المعنى تفهم أيضاً هذه الآية: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: 68].

فهم مطالبون بإقامة التوراة والإنجيل في أمر عبادة الله الواحد بلا شريك رداً على قول اليهود: عزير ابن الله وقول النصارى: المسيح ابن الله، وفي الأمر الاعتراف برسالة محمد ﷺ لأنهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل باسمه بإقامة ما أنزل إليهم من ربهم - أي القرآن - عقيدة وشريعة - وإلا فهم ليسوا على شيء كما تصفهم الآية، أي ليسوا على دين صحيح يقبله الله منهم[1].

إن القرآن الكريم يدعو كافة الناس إلى الإيمان برسول الله ﷺ وطاعته واتباع شريعته بما في ذلك أهل الكتاب، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: 15 - 16].

(1) ركائز الإيمان، ص: 329.

ففي هذه الآيات تصريح بأن الشرائع السابقة قد نسخت برسالة سيدنا محمد ﷺ وأن الهداية والنجاة والفلاح والنجاح منحصر في طاعته ﷺ واتباع شريعته[1]، فرسالة محمد ﷺ جمع الله فيها محاسن ما قبلها من الرسالات وزادها من الكمالات ما ليس في غيرها، فلهذا جعلها الله شاهدة وأمينة وحاكمة على الرسالات كلها[2]، وخاتمة لها وناسخة.

2 - إنها رسالة عالمية:

جاءت رسالة الإسلام عامة إلى الثقلين: الإنس والجن وإلى الأبيض والأسود، وهذه من الخصائص الكبرى المميزة للإسلام فإن الرسالات السابقة كانت خاصة بأمة معينة وتنقضي بزمان محدد، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [المائدة: 3].

وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24]، وأما خاتم النبيين محمد ﷺ فقد خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158].

- وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1].

- وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: 28].

---

(1) عقيدة التوحيد من الكتاب والسنة، ص: 260.

(2) تفسير ابن كثير (2/ 68).

كما وصف القرآن بأنه: ﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: 52] و ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 138] و﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: 185]، كما ورد في الحديث الصحيح عنه ﷺ: «**فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأُحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**»[1].

ولا يتنافى مع هذا العموم، أن يكون المخاطبون في بادئ الأمر هم العرب قوم الرسول ﷺ، وأن يبدأ بالإنذار بهم، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، وقال تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: 92]، وأن يكون العرب هم أداة التبليغ، وأن تكون لغتهم هي وسيلة ذلك: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: 3]، وأن يكون لهم بذلك ذكراً ومنزلة ورفعة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: 44].

ولذلك كانت لغتهم التي نزل بها القرآن الكريم، وأساليبهم وعاداتهم هي المرجع في فهم القرآن ومعرفة الإسلام، لأنها روعيت في الخطاب الذي وجه إليهم بادئ ذي بدء[2].

وقد حمل العرب هذه الرسالة إلى الناس كافة، لأنها الرسالة العالمية التي ارتضاها الله للبشرية جمعاء، فالنوع البشري بأجمعه مكلف بالإيمان برسالة الإسلام وتصديقها واتباعها، فلا يحق لأحد

(1) مسلم رقم 523.
(2) العقيدة الإسلامية، ص: 244.

بلغته رسالة الإسلام أن يدين بغير دينه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85][1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: 19].

3 - موافقتها للفطرة:

من الخصائص التي تمتاز بها الرسالة المحمدية أن الإسلام دين الفطرة فهو بنظمه ومبادئه وأساليبه في التربية والتهذيب يمثل أسلم سبيل للوصول إلى الإنسان المهذب السليم ذلك بأنه قبل كل شيء يعترف بهذه الفطرة، كحقيقة ماثلة في تركيب الإنسان ويضع لها من التشريع والصيانة والاهتمام ما يجعلها تسير في مسارها الصحيح بغير عوج أو التواء، فالإنسان بفطرته يبغض عدوه ويرغب في صده ودفع أذاه وضربه في معقله إن تجاوز واعتسف أو اعتدى على العقيدة أو النفس أو المال أو العرض وفي صد العدوان ما يرضي الفطرة يقول القرآن: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 194].

- ويقول تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: 40].

وفي ذلك إرضاء للنفس كي لا تعاني من الكبت والضغينة إلا إذا عفا المرء وأسقط حقه عن طيب خاطر، والقرآن يمدح القصاص لأنه سبيل لصد الشر وصون الأرواح، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى

(1) عقيدة التوحيد من الكتاب والسنة، ص: 254.

﴿ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: 179].

والإنسان بفطرته يحب التملك وينزع إلى الاستقلال الشخصي فأباح له الإسلام الملكية بالوسائل المشروعة[1]، ليتيح للحوافز الفردية أن تعمل، ولا يكبتها كما تضع الشيوعية، ولكنه يضع الضوابط التي تمنع الظلم وتمنع الفساد، فيحرم الربا والاحتكار والغصب والسلب والنهب والسرقة والغش كطرق للتملك أو لتنمية المال، ثم يفرض الزكاة التي تحد من التضخم وتشرك الفقراء في أموال الأغنياء، ويوجب الإنفاق في سبيل الله ويحرم الكنز ويحرم الترف والمخيلة بالمال، وهذه كلها ضوابط تمنع ما يحدث في الغرب الرأسمالي من فساد خلقي وظلم اجتماعي وسياسي واقتصادي وهكذا لو تتبعت جميع مجالات الحياة تجد التوافق الكامل بين هذا الدِّين وبين الفطرة البشرية، كما تجد التوجيهات التي تمنع الانحراف أو تعالجه عند حدوثه فتظل الفطر أقرب ما يكون إلى السلامة والحياة أقرب إلى الاستقرار[2]، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: 30].

إن في الفطرة البشرية كما خلقها الله مجموعة من الدوافع أودعها الله في الفطرة لتعين الإنسان على القيام بما كلف به من أمر الخلافة في الأرض، كدافع الطعام والشراب والملبس والمسكن والجنس والتملك، وإثبات الذات... إلخ، ولكن هذه الدوافع مع

(1) عقيدة التوحيد من الكتاب والسنة، ص: 255.

(2) ركائز الإيمان، ص: 356.

ضرورتها لعمارة الأرض خطيرة على الكيان البشري إذا تركت بلا ضابط يضبط منطلقها، فعندئذ تتحول إلى شهوات جامحة لا يملك الإنسان نفسه من سلطانها، والنظام الأمثل هو الذي يسمح لهذه الدوافع بالقدر المعقول من الحركة فلا يعطلها ولا يكبتها من أصولها، وفي الوقت ذاته يضبط منطلقها فلا تتحول إلى شهوات، فيأخذ الإنسان نصيبه من المتاع الطيب، وينضبط سلوكه في ذات الوقت في الحدود التي تعود عليه بالعطب والدمار وذلك بالضبط هو ما صنعه الإسلام، فيتيح للدوافع كلها أن تعمل، لا يستقذر شيئاً منها ولا يستنكره، وفي الوقت ذاته يعمل على تهذيب هذه الدوافع والارتفاع بها إلى أقصى ما يملك الإنسان من رفعة في حدود كيانه البشري، فلا تصبح شهوات جامحة وإنما رغبات منضبطة بالحدود التي رسمها الله - بعلمه وحكمته - وقال عنها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: 187].

وقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: 229]، لذلك لا يقر الإسلام الرهبانية، لأنها تعطل دوافع الفطرة وتكبتها، ذهب ثلاثة رهط إلى بيت من بيوت رسول الله ﷺ فسألوا عن عبادته ﷺ، لما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقال أحدهم: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأما أنا فأقوم الليل ولا أنام، وقال الثالث: أما أنا فلا أتزوج النساء، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ قال لهم: «**أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[1].

(1) مسلم، كتاب النكاح، رقم 1402.

كذلك لا يقر الإسلام الانفلات من الشهوات الجامحة كما تضع الجاهلية المعاصرة بصفة خاصة، فتفسد الفطرة وتفسد الأخلاق وتنحط بالإنسان إلى درك الحيوان[1].

4 - شمولها لمطالب البشرية في جميع الميادين:

إنها تتضمن كل ما يحتاج إليه الإنسان من شؤون الدين والدنيا والآخرة على وجه يكفل المصلحة للناس جميعاً، ويؤمن لهم السعادة الحقيقية إذا هم التزموا بها وعملوا على تحقيقها فهي تنظم أمور العقيدة والأخلاق والعبادات، والأسرة والمعاملات المالية، والقضاء والعقوبات وما إلى ذلك[2].

قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38].

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89].

ولله در العلامة ابن القيم، فقد بيَّن معنى الشمول في رسالة الإسلام بياناً شافياً، فقال: وعموم رسالته ﷺ بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه العباد في معارفهم وعلومهم، وأعمالهم، وأنه لم يحوّج إلى أحد بعده وإنما حاجاتهم، إلى من يبلغهم عنه ما جاء به، فلرسالته عمومان محفوظان لا يتطرق إليهما تخصيص: عموم بالنسبة

(1) ركائز الإيمان، ص: 355.

(2) عقيدة التوحيد من الكتاب والسنة، ص: 258.

إلى المرسل إليهم، وعموم بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه من بعث إليه في أصول الدين وفروعه، فرسالته كافية شافية عامة لا تحوج إلى سواها ولا يتم الإيمان به إلا بإثبات عموم رسالته في هذا وهذا وقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علمًا وعلمهم كل شيء حتى آداب التخلي وآداب الجماع والنوم والقيام والقعود والأكل والشرب، وبالجملة فجاءهم بخير الدنيا والآخرة برمته ولم يحوجهم إلى أحد سواه[1].

فالشمول من الخصائص التي تميزت بها رسالة الإسلام عن كل ما عرفه الناس من الأديان والفلسفات والمذاهب وهذا الشمول تمثل فيما يلي:

أ - قد اشتملت على ما في تعاليم النبوات السابقة من مبادىء جوهرية ثابتة في العقيدة والأخلاق، ونسخت ما كان فيها من تشريعات مؤقته وأحكام عارضة.

ب - تناولت الشريعة فيها حياة الإنسان من جميع أطرافها ومن كل جوانب نشاطاتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعقلية والروحية والخلقية . . . إلخ.

ج - وضعت المبادئ الكلية والقواعد الأساسية فيما يتطور فيها ويتحور بغير الزمان والمكان، ووضعت الأحكام التفصيلية والقوانين الجزائية فيما لا يتطور ولا يتحور بتغير الزمان والمكان وهذا هو الكمال والشمول الذي تميزت به الشريعة الإسلامية وأشارت إليه

(1) أعلام الموقعين (4 \ 375).

الآيات القرآنية[1].

ومع هذا الشمول تبرز خاصة المرونة التي تكسب الرسالة المحمدية عنصر الاستجابة لكل المشكلات جميعاً فلا تقف متخلفة عن ركب الحياة الناشطة المتحركة، بل هي قادرة على احتواء الواقع البشري كله مهما امتد الزمن أو تبدلت الأحوال والظروف[2].

إن الإسلام لا يقف في سبيل التقدم العلمي والنهوض الحضاري، بل إن الإسلام هو الذي بعث المسلمين لينشؤوا حركة علمية ضخمة، كان من أهم آثارها المنهج التجريبي في البحث العلمي التي تعلمته أوروبا على يد المسلمين في الأندلس والشمال الأفريقي وصقلية وجنوب إيطاليا الإسلامي والذي قامت عليها نهضتها العلمية الحاضرة، والإسلام هو الذي أنشأ حضارة تاريخية ضخمة أنارت العالم كله وقت أن كانت أوروبا تعيش في ظلام القرون الوسطى المظلمة بالنسبة إليهم، المزدهرة بالنسبة للإسلام، وكان أروع ما في هذه الحضارة أنها تعمر الأرض بأقصى ما في طاقة البشر من قدرة على التعمير في جميع الميادين وجميع الاتجاهات ولكن دون أن تقطع ما بين الحياة الدنيا والآخرة، كما تصنع تلك الجاهلية فتدفع الناس دفعاً إلى التكالب المزري على شهوات الأرض وعلى تحطيم كل القيم الفاضلة في سبيل ذلك المتاع الرخيص، وما ينشأ عن ذلك حتماً من فساد الفطر وفساد الأخلاق والصراع الرهيب الذي يهدد الأرض بالدمار.

---

(1) العقيدة الإسلامية، ص: 245.

(2) عقيدة التوحيد من الكتاب والسنة، ص: 258.

كلا إن الإسلام ينشئ حضارة من نوع آخر، أثمن وأعلى حضارة تعمر الأرض ولكنها تعمرها بمقتضى المنهج الرباني، فلا تحرم الناس من المتاع الطيب، ولكنها تحافظ على كيانهم الإنساني وهم يتناولون ذلك المتاع، ولا تهبط بهم إلى مستوى الحيوان[1]، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 32].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: 12].

5 - اهتمامها بالعقل البشري وتميزها بالمنهج الفكري:

من خصائص الرسالة المحمدية، أنها أحلت العقل الإنساني محله اللائق فخاطبته لإيقاظه ودفعته لاستخدامه، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 17].

- وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 91].

- قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

فمن خصائص الدعوة المحمدية أنها تخاطب الإنسان كله، وجدانه وفكره على السواء، وكما يستثير القرآن وجدان الإنسان

(1) ركائز الإيمان، ص: 346.

لينفعل بمشاهدة آيات الله ويستسلم له، فكذلك يوقظ القرآن عقل الإنسان ليتدبر، ولينـاقش الأمور مناقشة فكرية منطقية هادئة تصل به إلى اليقين[1]، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: 59-64].

- وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170].

- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: 36].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ

(1) ركائز الإيمان، ص: 347.

يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: 46].

إن هذه الآيات وأمثالها تكوّن في مجموعها منهجاً فكرياً للوصول إلى الحق يمكن تلخيصه في هذه النقاط:

- عدم اقتضاء أي فكرة قبل تمحيصها وعرضها على البرهان والمنطق، لأن الإنسان مسؤول عن تفكيره واعتقاده لأن الله أعطاه سمعاً وبصراً وعقلاً ليفكر لنفسه ويتدبر ويوم القيامة يسأل سمعه وبصره وعقله: كيف اقتفى شيئاً دون أن يعرف حقيقته؟

- التدبر في كل الأمور بالمنطق العقلي، وعدم اتخاذ المواقف بدافع الهوى لأن الهوى يعمي الإنسان عن الحق.

- التخلي عن التقليد الأعمى والموروثات الفاسدة التي لا تقوم على دليل ولا برهان.

فإذا اتبع الإنسان المنهج، فألقى عنه موروثاته التي لا تقوم على دليل، وكف عن التقليد الأعمى، ورفض أن يتبع شيئاً يعرض عليه إلا ببرهان، ثم راح يفكر بالمنطق بعيداً عن الهوى فإنه لا بد واصل بإذن الله إلى الحق[1].

إن الإسلام دعا العقل البشري أن يعمل فيما هو متاح له، ليصل إلى اليقين في تلك الحقائق الرئيسة الكبرى التي تكوّن أساس الإيمان، على أن المنهج الفكري الذي تتميز به هذه الدعوة لا ينحصر فيما يتعلق بأمور العقيدة، بل يمتد فيشمل ميادين أخرى، فإذا كان القرآن قد طالب العقل البشري بأن يتدبر آيات الله في

(1) ركائز الإيمان، ص: 348.

الكون ليتعرف على الخالق الذي له ملك السمٰوات والأرض وهو على كل شيء قدير، فقد طالبه كذلك بالتفكر في تلك الآيات ليتعرف على السنن الربانية التي تحكم سير هذا الكون ليتمكن من استخدام ما سخر الله له في هذا الكون من طاقات: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: 13].

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: 12].

- ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ﴾ [البقرة: 189].

وإن أمثال هذه التوجيهات في القرآن والسنة لا تكتفي بطلب مشاهدة الأشياء بل تلفت النظر إلى عللها، لهي التي بعثت الأمة الإسلامية تطلب العلم من مصادره التي كانت متاحة يومئذ، ثم تنشئ من بعد حركتها العلمية الذاتية التي تتلمذ عليها أوروبا فأنشأت نهضتها، وكان أبرز ما فيها منهج المشاهدة والملاحظة والتجريب الذي يقوم على أساسه كل التقدم العلمي الحاضر كذلك يطلب القرآن من العقل البشري أن يتأمل في حكمة التشريع «بقدر ما يتاح له» حتى إذا طبقه كان تطبيقه واعياً متفهماً، فتختم كثير من الأحكام بمثل هذا التنقيب: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: 61].

وهذا التوجيه هو الذي أنشأ الفقه الإسلامي، وهو أثمن ما أنتجه العقل المسلم من روائع، وما يزال هذا النتاج حياً وقابلاً للحياة والنمو ما دامت الحياة كما أن الإسلام وجَّه العقل البشري

إلى تدبر السنن الربانية التي تسير حياة البشر على الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: 23].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11].

- وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41].

- ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: 16].

- ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96].

- ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44].

- ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: 25].

والغرض من هذه التوجيهات هي أن يعرف الإنسان أن حياته لا تمضي بلا ضوابط، وأنه ليس معفىً من نتائج عمله، بل إن كل عمل يعمله الإنسان فرداً أو جماعة له عواقبه سواء في الحياة الدنيا أو في الآخرة حسب سنن ربانية لا تتبدَّل ولا تتحول ولا تحابي فرداً ولا جماعة، فمن أجل ذلك عليه أن يتدبر الطريق الذي ينبغي أن يسلكه، ويتدبر عواقب عمله قبل أن يقدم عليه.

- كذلك يطلب الإسلام من العقل البشري أن يتدبر عبر

التاريخ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: 137].

- ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الأعراف: 21].

- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: 46]، فالمطلوب إذن دراسة التاريخ لا على أنه مجموعة من الحوادث حدثت بغير رابط ولا دلالة، ولكن على أنه يجري حسب السنن الربانية الثابتة وأن هناك رباطًا يربط الأحداث هو قدر الله المقدور، الذي يسير حسب تلك السنن الثابتة، فإذا تدبر العقل ذلك ووعى عبرة التاريخ فإنه قمين ألا يقع فيما وقع فيه السابقون من أخطاء وخطايا، بل يقوّم خطاه بحيث لا يصطدم مع السنن الربانية، فيسير آمنًا في الحياة الدنيا وفي طريق يؤدي به إلى الأمن في الدار الآخرة وعلى ذلك يمكن تلخيص المجالات التي يطلب الإسلام من العقل البشري أن يتفكر فيها بهذه المجالات الخمسة:

* - التدبر في آيات الله في الكون للتعرف على الخالق والإيمان به والتسليم له.

* - التدبر في آيات الله في الكون للتعرف على السنن التي يسير الكون لاستخلاص طاقاته وتسخيرها لعمارة الأرض.

* - التدبر في حكمة التشريع لإحسان تطبيقه على الأحوال المتجددة في حياة الناس.

* - التدبر في السنن الربانية التي تسير حياة الناس في الأرض بمقتضاها لتقويم حياة المجتمع البشري.

* - التدبر في عبر التاريخ والاستفادة منها في تجنب الأخطاء والاستقامة على الطريق الصحيح.

وذلك أوسع مجال يمكن للفكر البشري أن يعمل فيه العمل المثمر المفيد[1].

6 - تحقيق المصلحة ودفع المفسدة:

إن الرسالة المحمدية جاءت لجلب الخير للناس، ودفع الشر وأشكال الضرر عنهم فهي ليست للعبث أو الهزل أو اللهو، ولم تأت كذلك لتجلب للإنسان الحرج والشقاء ولكنها جاءت جادة في دفع المفسدة وجلب المنفعة حتى إذا ما تحققت للناس عناصر الخير والراحة والسعادة والاستقرار فقد تحققت مقاصد الشريعة على التمام، يقول الشاطبي في هذا الصدد: إن تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها: أن تكون ضرورية، وثانيها: أن تكون حاجية، وثالثها: أن تكون تحسينية.

فأما الضرورية فمعناها أنها لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وفوت حياة، وفي الحياة الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين، ومجموع الضروريات خمسة وهي: حفظ الدين

(1) ركائز الإيمان، ص: 347 - 352.

والنفس والنسل والمال والعقل، وقد صانت الشريعة كلاً من هذه الضرورات وأوجبت لصونها عقوبات، كالقصاص في القتل والحد في الزنى والقذف والسرقة وشرب الخمر، وأما الحاجيات فمعناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ودفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة، ومن أجل ذلك شرعت الرخص المخففة في العبادات، كإباحة الإفطار للمسافر والمريض، وشرعت في المعاملات عقود القروض والمساقاة وغيرها وأما التحسينات فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب ما تأنفه العقول الراجحة ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق، وذلك كالطهارة وستر العورة وأخذ الزينة وآداب الأكل والشرب ومجانبة الإسراف والإقتار وغير ذلك[1].

وخلاصة القول أن الإسلام بعقائده وشرائعه ونظمه وتعاليمه ومعانيه إنما جاء ليحقق للإنسان الحياة الفاضلة الكريمة التي تتجسد فيها أسباب المصالح وتندفع فيها أسباب المفاسد.

إن الأنظمة الوضعية التي وضعها البشر لم تفلح في صبغ الحياة البشرية بصبغة الأمن والسعادة والاستقرار فضلاً عن إخفائها الذريع في دفع الضرر والفساد على وجه الأرض، بل إن الحقيقة المريرة هي أن هذه المبادئ والنظم التي صنعها البشر قد أفلحت في إغراق الإنسان في جحيم الكوارث والمآسي والويلات وأوردته موارد الشقاء والعيش البائس المغني، ذلك العيش المنكود الذي تجسد في حصائل متعددة من الأمراض والحروب والمجاعات

(1) ركائز الإيمان، ص: 257.

والقلق والأحزان وهي أضرار ومفاسد يعاني منها الإنسان وسيظل يعاني حتى يهتدي فيعود إلى الصواب بعد أشواط طوال من الويلات والأرزاء[1].

7 - سماحتها ويسرها ورفع الحرج عنها:

إن الله لم ينزل هذا الدين أصلاً ليعنت به الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 143].

فالسماحة من أكبر صفات الدعوة المحمدية، قال رسول الله ﷺ: «**أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة**»[2]، ويرجع معنى السماحة إلى التيسير المعتدل، وهو معنى اليسر الموصوف به الإسلام: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185].

ومن سماحة الدعوة المحمدية إنكارها على أصحاب النزعات المتطرفة والذين يحرمون الطيبات والزينة التي أخرج لعباده.

- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المائدة: 87 - 88].

وهذه الآية الكريمة تبين للمسلمين حقيقة منهج الإسلام في التمتع بالطيبات ومقاومة الغلو الذي وجد في بعض الأديان أو عند بعض المتنطعين[3].

---

(1) ركائز الإيمان، ص: 257.

(2) البخاري في الأدب المفرد رقم 188.

(3) سماحة الإسلام، عمر بن عبد العزيز، ص: 370.

- ومن سماحة الدعوة المحمدية ما يتبعه من منهج في الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ وجدال المنافقين، ففي القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: 125].

ومن تأمل الآية الكريمة يجد أنها لا تكتفي بالأمر بالجدال بالطريقة الحسنة، بل أمرت بالتي هي أحسن، فإذا كان هناك طريقتان للحوار والمناقشة إحداهما حسنة والأخرى أحسن منها، وجب على المسلم أن يجادل بالتي هي أحسن جذباً للقلوب النافرة وتقريباً للأنفس المتباعدة[1].

ومن أبرز المزايا التي تتحلى بها الدعوة المحمدية بأنها سهلة ميسورة وهي بطبيعتها تعارض المشقة وتنفي أية صورة من صور الضيق والحرج وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة نصوص كثيرة تنفي كل أنواع الحرج التي لا يطيقها الإنسان أو يشق عليه احتمالها ومن أدلة التيسير:

- قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185].

- وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: 28].

- وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح: 5 - 6].

---

(1) الإيمان بالقرآن والكتب السماوية للصّلاّبي، ص: 94.

- وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4].

- وقال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 7].

*** ومن أدلة رفع الحرج:**

من أقوى الأدلة في الدلالة على رفع الحرج قوله تعالى:

- ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، أي ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجاً ومخرجاً[1].

- وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: 61].

وفي هذه الآيات دلالة ظاهرة على رفع الحرج عن هذه الأمة، وأن الله لم يجعل في التشريع حرجاً، وبعض هذه الآيات وإن كانت خاصة في أحكام معينة ولكننا نجد التعليل عاماً، فكأن التخفيف ورفع الحرج في هذه الأحكام والفروض بإعادة الشيء إلى أصله، وهو رفع الحرج عن هذه الأمة، فكل شيء يؤدي إلى الحرج لسبب خاص أو عام فهو معفو عنه، رجوعاً إلى الأصل والقاعدة[2].

*** ومن أدلة عدم التكليف بما يضاد الوسع والطاقة:**

- قال سبحانه: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286].

---

(1) تفسير الطبري (17/ 207).

(2) الوسطية في ضوء القرآن، د. ناصر العمر، ص: 106.

- وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾ [البقرة: 286].

- وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: 42].

هذه الأدلة يظهر من خلالها الإسلام في صورته الوضيئة المشرقة وفي طابعه الكريم السهل وفي جوهره الذي ينبذ الغلو والتعسير والتنطع والذي يحبذ التيسير والتسهيل تمشياً مع فطرة الإنسان التي تضيق بالعنت والإحراج[1].

8 - غنى مصادرها التشريعية:

مما تميزت به هذه الدعوة كذلك غنى مصادرها التشريعية، فالرسالات السابقة كلها تجد تشريعاتها في الكتاب المنزل فحسب، أما هذه الدعوة التي لم تنزل لقوم محدودين ولا لفترة من الزمان محدودة، وإنما نزلت للبشرية كافة ولأمد من الزمن ممتد إلى قيام الساعة، فقد خصها الله بسعة في المصادر التشريعية تلائم سعة رقعتها وامتداد زمانها، فنجد مع الكتاب سنة الرسول ﷺ تفصل ما أجمله الكتاب وتبين أحكامه تارة، وتستقل بتقرير الحكم تارة أخرى، فقد فرض الله الصلاة - مثلاً - ولكن أحكام الصلاة بيَّنتها السنة ةكذلك الأمر في الزكاة، فالسنة هي التي فصلت أحكامها وأنواعها ومقاديرها، واستقلت السنة ببعض الأحكام، كحد الردة وحد الخمر

(1) عقيدة التوحيد من الكتاب والسنة، ص: 257.

وحكم الرجم للزاني المحصن، وأحكام البيع والشراء.. إلخ.

وإلى جانب الكتاب والسنة فباب الاجتهاد مفتوح فيما لم يرد فيه نص، أو في طريقة تطبيق النص على حالة، لم تقع في عهد الرسول ﷺ، وهذا هو الذي كفل لهذه الشريعة أن تتسع للنمو الدائم في حياة البشر ولا تضيق عنه، وجعل الحياة في ظلها تتحرك وتنمو أبدًا لا تتجمد، وهو ما لم يكن متاحاً للدعوات السابقة لأن الله قدر لها فترة محدودة من الزمن تنسخ بعدها أما هذه الرسالة فلا ناسخ لها، لذلك وهبها الله القدرة على الامتداد ومواكبة الحياة المتجددة على الأرض[1].

9 - دعوتها إلى الإيمان بما جاء به الأنبياء من قبل:

الرسالة المحمدية هي الرسالة الوحيدة التي يؤمن أتباعها بالرسل جميعاً وبما أنزل إليهم، فقد كفر اليهود بعيسى عليه الصلاة والسلام ومحمد ﷺ، وكفر النصارى بمحمد ﷺ وآمنوا بعيسى، ولكن لا على أنه رسول، بل على أنه إله وابن الله، أما المسلمون فهم وحدهم الذين يؤمنون بالرسل جميعاً من لدن آدم ونوح إلى محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 136].

---

(1) ركائز الإيمان، ص: 353.

10 - حفظ الله تعالى للرسالة المحمدية:

لما كانت الرسالات السابقة مرهونة بوقت معين وزمان محدود لم يتكفل الله تعالى بحفظها، بل وكل حفظها إلى علماء تلك الأمم التي أنزلت إليها، فأوكل حفظ التوراة إلى الربانيين: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: 44].

ولم يستطع الربانيون، والأحبار حفظ كتابهم، وخان بعضهم الأمانة فغيروا وبدلوا وحرفوا، أما هذه الرسالة الخاتمة فقد تكفل الله بحفظها ولم يكل حفظها إلى البشر، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9]. ، وحفظ كتابها من التحريف والتبديل: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42][1].

11 - شهادة أمة الإسلام على الأمم:

كون المؤمنين بهذه الرسالة يشهدون يوم القيامة على سائر الأمم من أصحاب الرسالات السابقة.

- تقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: 143].

- وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج: 78].

---

(1) العقيدة الإسلامية ص: 146.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يجاء بنوح فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم يا رب، فتُسأل أمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فيجاء بكم فتشهدون، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾** [البقرة: 143]»[1].

نزّل الله تعالى أمته منزلة العدول من الحكام، فإن الله تعالى إذا حكم بين العباد فجحدت الأمم تبليغ الرسالة أحضر أمة محمد ﷺ فيشهدون على الناس بأن رسلهم أبلغتهم، وهذه الخصيصة لم تثبت لأحد من الأنبياء[2].

12 - السيرة المحمدية:

هي السيرة القطعية في التاريخ: من قدر الله بالنسبة للإسلام أن تبقى أصوله كاملة ومن غير تحريف، لأنه الدين الباقي إلى أن تقوم الساعة، والذي قدر الله سبحانه وتعالى أن يحفظه ويُظهره على الدين كله:

- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الصف: 9].

- وكما حفظ الله القرآن بقدرته حيث قال جلّت قدرته: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

---

(1) البخاري رقم 7349، الواسطة بين الله وخلقه، ص: 183 المرابط الشنقيطي.

(2) الواسطة بين الله وخلقه، د. المرابط الشنقيطي، ص: 184.

فقد حفظ كذلك السنة المطهرة وحفظ السيرة النبوية الكريمة، فلم تضع كما ضاعت سير كثير من الأنبياء من قبل ولم تدخل عليها التشويهات والتحريفات التي دخلت على سير أنبياء بني إسرائيل من موسى إلى عيسى عليهما الصلاة والسلام فيما يُسمَّى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد «المقابلين للتوراة والإنجيل».

إن من يقرأ العهد القديم بصفة خاصة يتقزز من بشاعة ما ألصق بالأنبياء - في سيرهم المزيفة ـ من تهم فاحشة لا تليق بشخص عادي، فضلاً عن نبي مرسل، فما من جريمة في الأرض ـ على بشاعتها ـ إلا ألصقت زوراً وبهتاناً بأولئك الأنبياء، من قتل وسرقة، وغصب، ونهب، وغش، وكذب، وفسق خلقي، وهذا كله مكتوب بأيدي المؤمنين، بأولئك الرسل، وصدق الله العظيم: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 93].

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79].

لقد حرَّفوا سير أنبيائهم لا عن جهل، ولكن ليبرروا لأنفسهم شناعة سلوكهم في الأرض، فإذا كان أنبياؤهم يصنعون ما ينسبونه إليهم من أفاعيل، أفلا يكونون هم في حل مما يفعلون؟ فأما الإنجيل في تزويرها لسيرة عيسى عليه الصلاة والسلام فلا تقل نكراً من تأليه عيسى وادِّعاء بنوته لله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم: 88 - 91].

ذلك ما أصاب سير الأنبياء من قبل من نسيان أو تحريف، فأما سيرة رسول الله ﷺ فقد صانها الله عن العبث وعن النسيان ووكلها ـ بقدر منه ـ إلى أمة ذات قدرة غير عادية على حفظ الروايات والنصوص، ومن ثمَّ بقيت محفوظة على مدار التاريخ، وبذلك فهي السيرة القطعية في التاريخ كله التي يمكن الوثوق بوقائعها وأحداثها ونسبتها إلى صاحبها ﷺ.

ومن خلال هذه السيرة ـ ومن خلال القرآن كذلك ـ حفظت اللمحات الصادقة من سير الأنبياء من قبل، فلا حقَّ يوثق به في سير أولئك الأنبياء إلا ما ورد في القرآن أو الحديث، وفضلاً عن ذلك فإننا نستطيع أن نقرأ في سيرة الرسول ﷺ سير الأنبياء جميعاً، فقد تجمَّع في حياته ﷺ ما تفرق في حياة الأنبياء من قبل[1].

ثانياً: وضع العالم الإسلامي ومستقبله:

1 - وضع العالم الإسلامي المعاصر:

لم يحدث في تاريخ الأمة الإسلامية أن تكالب عليها أعداؤها بمثل الضراوة التي يتكالبون بها عليها في الوقت الحاضر: يذبحون ويقتلون في كل مكان غلب عليهم أعداؤهم، ويشردون من أرضهم وأموالهم، ويسلط عليهم أعداء من داخلهم أو من خارجهم يحكمونهم بغير ما أنزل الله، لحساب أعدائهم الذين لا يؤمنون بلا إله إلا الله، وينتقص الوطن الإسلامي مرة بعد مرة بإقامة دول غير إسلامية في أرضه وتفتت وحدته، ثم تقسم الدول منه إلى دويلات، والفقر والجهل والمرض يتفشى في العالم الإسلامي على الرغم من

(1) ركائز الإيمان، ص: 329 - 330.

أن تربته تحتوي على أكبر ثروات العالم على الإطلاق.

لقد وعد الله هذه الأمة بالاستخلاف والتمكين: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: 55].

لقد اشترط الله عليهم ـ شروطاً للتمكين ـ مقابل الاستخلاف والتمكين والتأمين: ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾، فأين هم اليوم من هذا الشرط؟ أين هم من الالتزام بأمر ربهم وتحكيم شريعته؟

لقد أعرضوا عن القرآن الكريم إعراضاً، ـ إلا ما رحم ربي ـ فلا هو الذي يستمدون منه الشريعة التي تحكمهم، ولا هو الذي يستمدون منه منهج تربيتهم، ولا هو الذي يستمدون منه أخلاقهم وأفكارهم ومشاعرهم وأنماط سلوكهم وإنما وجهتهم في ذلك كله هي أوروبا، شرقها أو غربها سواء، فكيف يطمعون أن ينصرهم ربهم وهم معرضون عن كتابه، وأن يمكّن لهم في الأرض وهم مخالفون لشرطه؟

لقد ابتلى الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك الابتلاء الضخم الذي أبلى فيه بلاء حسناً فكافأه الله على طاعته فقال: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: 124]، وعندئذ أدركته رغبته الفطرية في أن يكون هذا العهد لذريته من بعده فيكونون أئمة للناس: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾، فماذا قال له الله ﷻ لحظة التقريب والتكريم والإعزاز؟ ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 124].

فهذه سنة من سنن الله الجارية التي لا تتبدل ولا تحابي أحداً،

إن الله لا يعطي الناس التمكين في الأرض لأنهم من ذرية قوم مؤمنين، بل لأنهم هم أنفسهم مؤمنون فإذا تخلوا عن شرط الإيمان الصحيح فلا يمنعهم يومئذ أن يكونوا ذرية لقوم مؤمنين[1].

ولقد عرض القرآن علينا سيرة بني إسرائيل بتفصيل كامل لكي لا تقع فيما وقعوا فيه وحذرنا من ذلك تحذيراً ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة: 211].

فماذا كان من بني إسرائيل: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: 169].

والأمة الإسلامية اليوم تقف في الموقف الذي حذرها الله منه، يتركون كتابهم من أجل عرض من أعراض الحياة الدنيا ويمنون أنفسهم بالأماني الفارغة ويقولون: سيغفر لنا! لا جرم إذن أن يكونوا على حالهم الذي هم فيه، ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل.

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: 123-124][2].

---

(1) ركائز الإيمان، ص: 387.

(2) ركائز الإيمان، ص: 389.

2 - مستقبل الأمة الإسلامية:

لا خلاص للأمة الإسلامية مما هي منه إلا بالرجوع إلى الله واتباع المنهج القرآني، لقد جرّب العالم الإسلامي أن يقتفي أثر الشرق أو الغرب من أجل الإصلاح، فكانت النتيجة نكسات تلو نكسات والاستضعاف مستمر في الأرض والتقتيل والتشريد قائم، وتفتيت وحدة المسلمين يشتد يوماً بعد يوم، ذلك أنهم ماضون في مخالفة أمر الله والبعد عن كتابه الكريم وقد أخبرهم الله ورسوله بأنهم لن ينتصروا ولن ينصلح حالهم إلا بالتزام أوامر الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 38].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: 38].

وقد آن للأمة الإسلامية أن تعرف هذه الحقيقة وتعمل بمقتضاها، آن لها أن تدرك أولاً أن ما بين يديها من كتاب الله وسنة رسوله خير مما يسعون إلى اكتسابه من مناهج الجاهلية: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

وأن التشريع السماوي الذي يعرضون عنه هو أكمل تشريع وأفضل تشريع، بينما شرائع الجاهلية كلها نقص وانحراف واختلال، وأن منهج التربية الإسلامية هو وحده الكفيل بإنشاء الإنسان الصالح، وما سواه كله انحراف[1].

(1) ركائز الإيمان، ص: 390.

والبداية هي معركة النفوس، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]، فإذا غير المسلمون ما بأنفسهم، وكفوا عن إعراضهم عن كتاب الله، وعادوا إلى الأخذ بمنهجهم القرآني فسيعيد الله خيراتهم إليهم - بقدر منه وبجهد يبذلونه تنفيذاً لأمر ربهم - فيصبحون أغنى أمة في الأرض قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96].

ويصبحون من ثم أقوى أمة في الأرض، فإن الغني هو الذي أنشأ القوة المادية التي ينتصر بها المؤمنون ويصبحون أداة سلام في العالم المهدد بالدمار - لأن العالم - بمعسكريه إنما يتنازع على امتلاكنا نحن، امتلاك خيراتنا، واستعبادنا وكسر شوكتنا، فيوم نكون أصحاب ثرواتنا وملاك أنفسنا، فسنكون القوة التي تمنع النزاع في الأرض أو في القليل يكون نزاعهم خارجاً عنا وليس واقعاً علينا كما هو اليوم[1].

ثالثاً: حقوق النبي ﷺ:

1 - الإيمان به ﷺ:

هو تصديقه وطاعاته واتباع شريعته[2]، وهذه الأمور هي الركائز التي يقوم عليها الإيمان بالنبي وعن بيان هذه الأمور المطلوبة عند الإيمان به بالنبي ﷺ.

---

(1) ركائز الإيمان، ص: 391.

(2) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، ص: 92.

قال العلماء:

أ - أما تصديقه ﷺ فيتعلق به أمران عظيمان:

أحدهما: إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله وهذا مختص به ﷺ[1].

ويندرج تحت هذا الإثبات والتصديق عدة أمور منها:

- الإيمان بعموم رسالته إلى كافة الثقلين إنسهم وجنهم.
- الإيمان بكونه خاتم النبيين ورسالته خاتمة الرسالات.
- الإيمان بكون رسالته ناسخه لما قبلها من الشرائع.
- الإيمان بأنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأكملها وأدّى الأمانة ونصح لأمته حتى تركهم على البيضاء ليلها كنهارها.
- الإيمان بعظمته.
- الإيمان بما له من حقوق، كما سيأتي تفصيلها بإذن الله.

ب - تصديقه فيما جاء به، وأن ما جاء به من عند الله حقّ يجب اتباعه، وهذا يجب عليه ﷺ وعلى كل أحد[2].

فيجب تصديق النبي ﷺ في جميع ما أخبر به عن الله عَزَّوَجَلَّ، من أنباء ما قد سبق وأخبار ما سيأتي، وفيما أحل من حلال وحرم من حرام، والإيمان بأن ذلك كله من عند الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: 3 - 4].

---

(1) مجموع الفتاوى لابن تيمية (15/ 91).

(2) المصدر نفسه، وحقوق النبي ﷺ على أمته (1/ 35).

ويجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول ﷺ إيمانًا مجملاً، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرض على الكفاية[1].

ج - طاعته واتباع شريعته: إن الإيمان بالرسول ﷺ كما يتضمن تصديقه فيما جاء به فهو يتضمن كذلك العزم على العمل بما جاء به وهذه هي الركيزة الثانية من ركائز الإيمان به ﷺ وهي تعني: الانقياد له ﷺ وذلك بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وزجر امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: 7][2].

2 - وجوب طاعة النبي ولزوم سنته والمحافظة عليها:

إن الآيات الواردة في الأمر بطاعة النبي ﷺ واتباعه والاقتداء به جاءت في مواطن متعددة من القرآن الكريم، واتصفت تلك الآيات بتنوع أساليبها وتعدد صبغها مع اتحادها جميعاً في الأمر بالاقتداء بالنبي ﷺ وطاعته في جميع ما جاء به من شرائع وأحكام من عند الله عز وجل[3]، ويمكن تقسيمها على حسب ما اتحدت به في السياق النحو التالي:

أ - الآيات التي جاء فيها الأمر بطاعته ومن تلك الآيات:

- قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 80].

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية، ص: 66.
(2) حقوق النبي على أمته (1/ 35).
(3) المصدر نفسه، (1/ 173).

- وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [ال عمران: 132].

- وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: 52].

- وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 71].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: 32].

- وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: 17].

ب - وفي آيات أخر يأمر الله سبحانه بطاعته وطاعة رسوله ﷺ مع إعادة الفعل، وفي ذلك إشارة إلى أن ما يأمر به رسول الله ﷺ تجب طاعته فيه وإن لم يكن مأموراً به بعينه في كلام الله الذي هو القرآن، فتجب طاعة الرسول مفردة كما تجب مقرونة بأمره سبحانه، ومن هذه الآيات:

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: 33].

- وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: 92].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: 54].

- وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: 59]. ، وفي هذه الآية أمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه[1]، لقوله ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**»[2].

ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالاً بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول، إيذاناً بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته، ومن أمر منهم بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة، كما صح عنه ﷺ أنه قال: «**لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف**»[3]، وقال ﷺ: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[4].

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: 54].

فقد أخبر تعالى في هذه الآية أن الهداية في طاعة الرسول لا في غيرها، فإنه معلّق بالشرط، فينتفي بانتفائه.. وهذا من الأحكام

(1) أعلام الموقعين لابن القيم (1/ 48).
(2) سنن أبي داود، كتاب السنة رقم 4604.
(3) مسلم (6/ 15).
(4) البخاري رقم 7144، فتح الباري (13/ 121 - 122).

التي ترتبت على شروط وعلقت فلا وجود لها بدون شروطها[1] إذا ما علق على الشرط فهو عدم عند عدمه، وإلا لم يكن شرطاً له، وإذا ثبت هذا، فالآية نص في انتفاء الهداية عند عدم طاعته[2].

وقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾، والمعنى: أنه قد حمل أداء الرسالة وتبليغها وحملتم طاعته والانقياد له والتسليم[3].

ج - الآيات التي جاء فيها الأمر باتباعه والتأسي به والأخذ بما شرعه، فقد جاء الأمر من الله تبارك وتعالى باتباع رسوله ﷺ والتأسي به في مواطن متعددة كما في كتابه العزيز[4].

- قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: 31].

ففي هذه الآية الأولى جعل الله الاتباع سبيلاً إلى نيل حبه ووسيلة إلى تحقيق رضاه وحصول غفرانه، إذ باتباع الرسول ﷺ يحصل حب الله تعالى ورضاه ومثوبته، فالخير كل الخير في اتباعه والشر كل الشر في مخالفته والابتعاد عن سنته، فالاتباع هو دليل المحبة وبرهانها، وبتحققه تكون المحبة التي هي إحدى ثمراته كما قال تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، كما أن من ثمراته غفران الذنوب، كما جاء في هذه الآية نفسها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

---

(1) حقوق النبي على أمته (1/ 177).
(2) المصدر نفسه (1/ 177).
(3) المصدر نفسه (1/ 187).
(4) حقوق النبي ﷺ على أمته (1/ 178).

وهذه المنزلة والمكانة لاتباع الرسول ﷺ نابعة من كون هذا الاتباع إنما هو في الحقيقة اتباع لله، إذ الرسول ﷺ إنما جاء لهذا الدين من عند الله عز وجل فهو شرع الله ودينه الذي أوحاه لرسوله ﷺ ليبلغه للعباد، فالرسول إنما هو مبلغ عن الله ولم يأت بشيء من عند نفسه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110].

وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: 285].

- ومن الآيات التي جاء فيها الأمر بالتأسي واتباعه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158].

جاء الأمر بالاتباع عقب الأمر بالإيمان تأكيداً على وجوب اتباع النبي ﷺ، وإلا فإن الاتباع داخل في الإيمان ولكن أفرد بالذكر هنا تنبيهاً على أهميته وعظيم منزلته[1].

- وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: 7].

فهذه الآية أوجبت الاتباع المطلق للنبي ﷺ، فما أمر به من

(1) حقوق النبي ﷺ على أمته (1/ 180).

شيء، فإن علينا فعله وما نهى عن شيء فإن علينا تركه واجتنابه، فهو لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر[1].

وفي هذا الاتباع والانقياد حياتنا وفلاحنا، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 24].

إذ الحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله ولرسوله ظاهراً وباطناً، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان، ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ، فإن كل ما دعا إليه ففيه الحياة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول[2].

ولقد أعقب هذا الأمر بالاستجابة تحذير من ترك الاستجابة له أو تثاقل وتباطؤ عنها، فقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ والمعنى: أنكم إن تثاقلتم عن الاستجابة وأبطأتم عنها فلا تأمنوا أن الله يحول بينكم وبين قلوبكم فلا يمكنكم بعد ذلك من الاستجابة عقوبة لكم بعد وضوح الحق واستبانته[3].

- وأما قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

(1) حقوق النبي ﷺ على أمته (1/ 180).
(2) الفوائد لابن القيم، ص: 88 بتصرف.
(3) المصدر نفسه، ص: 90.

لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

فقد جعل الله تبارك وتعالى من رسوله الأسوة والقدوة ليحتذي به الخلق في أقواله وأفعاله وجميع ما جاء به النبي ﷺ[1]، قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله[2].

د - الآيات التي جاء فيها التسليم لحكمه والانقياد له:

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65].

يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]، أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لك تسليما كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة[3].

وهذه الآية ينبغي لكل مسلم أن يعرض نفسه عليها[4] ومتى

(1) حقوق النبي (1/ 181).
(2) تفسير ابن كثير (3/ 474).
(3) تفسير ابن كثير (1/ 520).
(4) حقوق النبي على أمته (1/ 183).

أراد العبد أن يعلم - قبوله لحكم الرسول والتسليم له - فلينظر في حاله ويطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه، أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار وما دونها: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة: 14 - 15].

فسبحان الله كم من حزازة في نفوس كثير من الناس من كثير من النصوص بودهم أن لو لم يرد؟ وكم من حزازة في أكبادهم منها؟ وكم من شجى في حلوقهم منها ومن موردها؟ ستبدو لهم تلك السرائر بالذي يسوء ويخزى يوم تبلى السرائر[1].

- ومن الآيات التي جاءت في وجوب التسليم لحكمه والانقياد له قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: 51].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 36].

وأما الأحاديث النبوية في حث الأمة على طاعة رسول الله وامتثال أمره واتباع ما جاء به فهي كثيرة منها:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟

(1) حقوق النبي على أمته (1/ 183).

قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[1].

- وقال رسول الله ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله**»[2].

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ومن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»[3].

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً.

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد،**

---

(1) البخاري رقم 7280، فتح الباري (13/ 249).

(2) البخاري رقم 7137.

(3) مسلم، كتاب الإيمان (1/ 50 - 51).

وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1].

وقد رسم النبي ﷺ في هذا الحديث ركيزتين أساسيتين في هذا الدين هما: الاتباع وترك الابتداع[2].

وقد بين الرسول ﷺ مواقف الناس من الأخذ بدعوته واتباع سنته، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله منها الناس، فشربوا منها، وسقوا، وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله به فعلِم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**»[3].

وفي هذا الحديث قسم النبي ﷺ الناس ـ فيما يتصل بدعوته ـ إلى ثلاث أقسام، وشبه ﷺ العلم الذي جاء به بالغيث لأن كلاً منهما سبب الحياة، فالغيث سبب حياة الأبدان، والعلم سبب حياة القلوب وشبه القلوب بالأودية كما قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: 17]. وكما أن الأرضين ثلاثة بالنسبة إلى قبول الغيث، **إحداها**: أرض زكية، قابلة للشراب والنبات، فإذا أصابها

(1) البخاري رقم 563.
(2) حقوق النبي ﷺ على أمته (1/ 197).
(3) البخاري رقم 79.

الغيث ارتوت، ومنه يثمر النبت من كل زوج بهيج، فذلك مثل القلب الزكي الذكي، فهو قابل للعلم بذكائه، ويثمر فيه وجوه الحكم والدين بزكائه، فهو قابل للعلم مثمر لموجبه وفقهه وأسرار معادنه.

والثانية: أرض صلبة قابلة لثبوت ما فيها وحفظه، فهذه تنفع الناس لورودها والسقي منها والازدراع وهو مثل القلب الحافظ للعلم الذي يحفظه كما سمعه في تصرف فيه، ولا استنبط، بل للحفظ المجرد فهو يؤدي كما سمع، وهو من القسم الذي قال فيه النبي ﷺ: «**فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه غير فقيه**»[1]

فالأول: كمثل الغني التاجر الخبير بوجوه المكاسب، والتجارات فهو يكسب بماله ما شاء.

والثاني: مثل الغني الذي لا خبرة له بوجوه الربح والمكسب ولكنه حافظ لما لا يحسن التصرف والتقلب فيه.

والأرض الثالثة: أرض قاع، وهو المستوى الذي لا يقبل النبات، ولا يمسك ماءً فلو أصابها من المطر ما أصابها لم تنفع منه بشيء.

فهذا مثل القلب الذي لا يقبل العلم والفقه والدراية وإنما هو بمنزلة الأرض البور التي لا تنبت ولا تحفظ وهو مثل الفقير الذي لا مال له ولا يحسن يمسك مالاً.

فالأول: عالم معلم، وداعٍ إلى الله على بصيرة، فهذا من ورثة العلم.

---

(1) سنن ابن ماجه (2/ 188) حديث صحيح.

والثاني: حافظ مؤد لما سمعه، فهذا يحمل لغيره ما يتجر به المحمول إليه ويستثمر.

والثالث: لا هذا ولا هذا، فهو الذي لم يقبل هدى الله ولم يرفع به رأساً فاستوعب هذا الحديث أقسام الخلق في الدعوة النبوية ومنازلهم منها قسمان: قسم سعيد، وقسم شقي[1].

هـ - الأدلة من القرآن الكريم على التحذير من معصية الرسول وحكم من خالفه:

ورد التحذير من معصية الرسول ﷺ في مواطن عدة من القرآن الكريم، وقد جاء التحذير مصحوباً بالوعيد الشديد لذلك المخالف العاصي ومن تلك المواطن.

- قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63].

- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: 14].

- وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 36].

- وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: 23].

---

(1) حقوق النبي على أمته (1/ 201).

- وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 13].

- وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 63].

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: 20].

كما أن كل من أعرض عن حكم الرسول ولم ينقاد له ولم يرضَ به إلا إذا كان موافقاً لهواه فهو محكوم عليه بالنفاق بنص القرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: 60 - 61].

- وقال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: 48 - 51].

فمن سمة المنافقين أنهم لا يتحاكمون لشرع الله، إلا إذا كان الحق في صفهم وحكم الشرع لصالحهم، أما إذا كان الأمر على خلاف ذلك فلا ترى منهم سوى الإعراض عن شرع الله المتمثل في كتاب الله

وسنة نبيه ﷺ، وأما أهل الإيمان الذي ترسخ في قلوبهم الإيمان بشرع الله اعتقاداً بالقلب وقولاً باللسان وعملاً بالجوارح، فإن من صفاتهم وعلاماتهم تحاكمهم لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ في جميع أحوالهم وشؤونهم مع الرضى والتسليم لذلك الحكم سواء كان لهم أم عليهم، ولذلك فقد وصف أهل الإيمان بالفلاح[1]، فقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157] بينما وصف أهل النفاق بالظلم حيث قال تعالى: ﴿بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: 50].

3 - وجوب محبته ﷺ:

لما كانت محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق أصل كل قول من أقوال الإيمان[2]، ولما كانت هذه المحبة من الإيمان الواجب الذي لا يتم إيمان العبد إلا به ولما كانت هذه المحبة هي إحدى الحقوق الواجبة للنبي ﷺ على أمته، فقد جعل الله هذه المحبة فوق محبة الإنسان لنفسه وأهله وماله والناس أجمعين، كما نص على ذلك:

أ - في كتاب الله العزيز، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24].

---

(1) حقوق النبي على أمته (1/ 252).

(2) مجموع الفتاوى (10/ 48 - 49).

فالآية نصت على وجوب محبة الله ورسوله، وأن تلك المحبة يجب أن تكون مقدمة على كل محبوب، ولا خلاف في ذلك بين الأمة[1].

كفى بهذه الآية حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على لزوم محبته، ووجوب فرضها، واستحقاقه لها ﷺ إذا قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾، ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله[2].

ب - ومن الآيات التي يستدل بها على وجوب محبة النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: 6]. ، فالآية دليل على أن من لم يكن الرسول أولى به من نفسه فليس من المؤمنين، وهذه الأولوية تتضمن أمور أهمها: أن يكون النبي أحب إلى العبد من نفسه، لأن الأولية أصلها الحب، ونفس العبد أحب إليه من غيره، ومع هذا يجب أن يكون الرسول أولى به منها، فبذلك يحصل له اسم الإيمان ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كما الانقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه والتسليم لأمره، وإيثاره على من سواه[3].

ج - ومما يستدل به كذلك على وجوب محبة النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: 165].

---

(1) تفسير القرطبي (8/ 95) بتصرف.

(2) الشفا للقاضي عياض (2/ 563).

(3) حقوق النبي على أمته (1/ 304).

ووجه الاستدلال بهذه الآية: أن الآية قد تضمنت وجوب محبة النبي ﷺ لأنه مما يدخل في محبة الله محبة ما يحبه الله والله يحب نبيه وخليله ﷺ، فمن أجل ذلك وجبت علينا محبته، ومن المعلوم أن أصل حب أهل الإيمان هو حب الله، ومن أحب الله أحب من يحبه الله، وكل ما يحب سواه فمحبته تكون تبعاً لمحبة الله، إذ ليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى، فالرسول ﷺ إنما يحب لأجل الله ويطاع لأجل الله ويتبع لأجل الله، وكذا الأنبياء والصالحون وسائر الأعمال الصالحة تحب جميعاً لأنها مما يحب الله، وبهذا يعلم تعين محبة النبي ﷺ ووجوبها ولزومها.

هذا وقد جاء ذكر محبة الرسول مقترناً بمحبة الله في قوله تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وكذلك في قوله ﷺ: «**ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»[1].

وهذا الاقتران يدل على مدى الصلة الوثيقة بين محبة الله ومحبة رسول الله ﷺ، وإن كانت محبة الرسول داخلة ضمن محبة الله تعالى أصلاً، لكن إفرادها بالذكر مع أنها ضمن محبة الله فيه إشارة إلى عظم قدرها وإشعار بأهميتها ومكانتها[2].

د - ومن الأدلة: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

---

(1) البخاري رقم 21، فتح الباري (1/ 72).

(2) حقوق النبي على أمته (1/ 306).

ففي هذه الآية إشارة ضمنية إلى وجوب محبة النبي ﷺ، لأن الله تبارك وتعالى قد جعل برهان محبته تعالى ودليل صدقها هو اتباع النبي ﷺ، وهذا الاتباع لا يتحقق ولا يكون إلا بعد الإيمان بالنبي ﷺ، والإيمان به لا بد فيه من تحقق شروطه التي منها محبة النبي ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**فو الذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده**»[1].

و - والأدلة من السنة على وجوب محبته ﷺ كثيرة منها:

- قوله ﷺ: «**لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك**»، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»[2].

- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[3].

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار**»[4].

---

(1) البخاري رقم 14 (1/ 58).
(2) البخاري رقم 6632، فتح الباري (11/ 523).
(3) البخاري رقم 15، فتح الباري (1/ 58).
(4) البخاري رقم 21 (1/ 72).

- وعن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «**وما أعددت للساعة؟**»

قال: حب الله ورسوله. قال: «**فإنك مع من أحببت**»، قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ: «**فإنك مع من أحببت**». قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم[1].

* **من علامات محبته:**

- اتباعه والأخذ بسنته.
- الإكثار من ذكره ﷺ.
- تمني رؤيته والشوق إلى لقائه.
- النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.
- من علامات محبته ﷺ تعلم القرآن الكريم.
- محبته ﷺ محبة من أحبهم النبي ﷺ.
- محبته ﷺ بغض من أبغض الله ورسوله.
- محبته ﷺ الزهد في الدنيا[2].

(1) البخاري رقم 6171.
(2) حقوق النبي على أمته (1/ 321).

4 - وجوب تعزيره وتوقيره وتعظيمه:

ومعنى التعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه[1].

ومعنى التوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار[2].

ومعنى التعظيم: التبجيل، وقد استخدمه العلماء في كلامهم عند هذه المسألة وذلك لقربه في المعنى إلى ذهن السامع، ولتأديته للمعنى المراد من لفظتي «التعزير»: و«التوقير»[3].

إن تعظيم النبي ﷺ وإجلاله، وتوقيره شعبة عظيمة من شعب الإيمان، وهذه الشعبة غير شعبة المحبة، بل إن منزلتها ورتبتها فوق منزلة ورتبة المحبة، ذلك لأنه ليس كل محب معظماً، ألا ترى أن الوالد يحب ولده ولكن حبه إياه يدعوه إلى تكريمه ولا يدعوه إلى تعظيمه، والولد يحب والده فيجمع له بين التكريم والتعظيم، والسيد قد يحب مماليكه ولكن لا يعظمهم والمماليك قد يحبون ساداتهم، ويعظمونهم، فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبته فوق رتبة المحبة[4].

ومن حق النبي ﷺ على أمته أن يهاب ويعظم ويوقر ويجعل

(1) الصارم المسلول لابن تيمية، ص: 422.
(2) الصارم المسلول لابن تيمية، ص: 422.
(3) حقوق النبي على أمته (2/ 422).
(4) حقوق النبي على أمته (2/ 423).

أكثر من كل ولد لوالده، ومن كل عبد لسيده، فهذا حق من حقوقه الواجبة[1].

وهو ما أمر به في كتابه العزيز قال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: 9].

- وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة جاء فيها التأكيد على هذا الحق من حقوقه ﷺ وبخاصة في جوانب معينة من جوانب تعظيمه، ومن تلك الآيات ما يلي:

أ - قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: 63].

ففي هذه الآية نهي من الله أن يدعو رسول الله ﷺ بغلظ وجاه، وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع[2]، وأمرهم أن يفخموه ويشرفوه[3].

فقد خص الله نبيه في هذه الآية بالمخاطبة بما يليق به، فنهى أن يقولوا: يا محمد أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، وكيف لا يخاطبونك بذلك، والله سبحانه أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحداً من الأنبياء، فلم يدعه

(1) حقوق النبي على أمته (2/ 423).
(2) تفسير الطبري (18/ 177).
(3) تفسير الطبري، (18/ 177).

باسمه في القرآن قط، بل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الأحزاب: 28]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: 67][1].

ب - وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [الحجرات: 1 - 5].

ج - وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التوبة: 120].

د - وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: 57].

هـ - وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 53].

و - وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا

(1) حقوق النبي على أمته (2/ 425).

كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: 62 - 63].

فهذه الآيات تبين لنا حقوق رسول الله ﷺ وأنه أجل وأعظم وأكرم وألزم لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على ممالكيهم والآباء على أولادهم، لأن الله أنقذنا به من النار في الآخرة وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة، فهدانا به لأمر إذا أطعناه كانت طاعته سبباً في دخول جنات النعيم، فأي نعمة توازي هذه النعم، وأية منة تداني هذه المنن فحق علينا إذن أن نحبه ونجله ونعظمه ونهابه، فبهذا نكون من المفلحين: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157][1].

فالآية بينت أن الفلاح إنما يكون لمن جمع إلى الإيمان به تعزيره ولا خلاف أن التعزير هنا التعظيم، فلقد سجل الله في هذه الآية الفلاح بأسلوب الحصر للذين تأدبوا بهذا الأدب القرآني الرفيع، وكما قال تعالى في الإناطة بمقامه الأشرف، وبيان حقه على كل مؤمن ومؤمنة: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: 8-9]، راجع إلى رسول الله ﷺ

(1) حقوق النبي على أمته (2/ 445).

وتفخموه في أدب المخاطبة والتحدث إليه ومجالسته[1]، فالتسبيح لله وحده، والتعزير والتوقير للرسول والإيمان بالله ورسله[2].

فهذه الآيات وغيرها نزلت لتبين مقام شرف رسول الله ﷺ وعظيم منزلته عند ربه، مما يوجب على المؤمنين برسالته أن يكونوا في مخاطبتهم معه على سنن الإجلال والتعظيم[3].

- ومما يدل على عظيم قدره ورفعة مكانته عند ربه الخصائص التي امتن الله بها على عبده ورسوله محمد ﷺ والتي تدل على تشريف الله ﷻ وتكريمه لنبيه محمد ﷺ، فقد أكرم الله نبينا محمد ﷺ بخصائص في الدنيا والآخرة دلت على علو قدره، ورفعة مكانته، وسمو منزلته عند الخالق تبارك وتعالى، فقد قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113].

ففي هذه الآية يمتن الله على نبيه ﷺ بما أسبغ عليه من الفضائل التي هي مناقب والمراتب التي أعطاها الله إياها وميزه بها على بقية أنبيائه، فالله سبحانه فضل بعض الرسل على بعض، فقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [البقرة: 253].

فكان لنبينا محمد ﷺ النصيب الأوفر من هذا الفضل فقد خصه

(1) حقوق النبي على أمته (2/ 445).
(2) حقوق النبي على أمته (2/ 446).
(3) حقوق النبي على أمته (2/ 446).

الله وميزه بخصائص ومناقب دنيوية وأخروية فُضل بها على سائر الأنبياء، ومن سواهم من البشر، ومن هذه الخصائص على وجه الاختصار[1]:

أ - أخذ العهد له ﷺ على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام: من الأمور التي تدل على عظيم قدره ﷺ عند ربه ما أخذ الله من العهد له ﷺ على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على أنه لو بعث ﷺ وهم أحياء أو أحد منهم فإنه يجب عليهم أن يؤمنوا به ويتبعوه وينصروه[2].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: 81].

ب - أنه ﷺ أكثر الأنبياء تبعاً:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**»[3].

- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة**»[4].

---

(1) حقوق النبي على أمته (2/ 394).

(2) المصدر نفسه، (2/ 395).

(3) البخاري رقم 7274، فتح البري (13/ 247).

(4) مسلم، كتاب الإيمان (1 (130).

ج - أن قرنه ﷺ خير قرون بني آدم كما أنه خير قرون أمته والقرون التي تلي قرنه ﷺ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه**»[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[2].

د - أن الله تعالى أخبره أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو حي صحيح يمشي على الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح: 1- 3].

هـ - أن الله رفع له ذكره، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 4].

فلا يذكر الله سبحانه إلا ذكر معه، ولا تصح للأمة خطبة ولا تشهد حتى يشهدوا أنه عبده ورسوله وأوجب ذكره في كل خطبة، وفي الشهادتين اللتين هي عماد الدين إلى غير ذلك من المواضع[3].

ز - أن الله أقسم بحياته ﷺ: قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: 72].

والإقسام بحياة المقسم بحياته يدل على شرف حياته وعزتها

---

(1) البخاري رقم 3557.

(2) البخاري رقم 3557.

(3) حقوق النبي على أمته (2/ 401).

عند المقسم بها، وأن حياته ﷺ لجديرة أن يقسم بها لما فيها من البركة العامة والخاصة ولم يثبت هذا لغيره ﷺ[1].

ح - أن الله وقره في ندائه، فناداه بأحب أسمائه وأحسن أوصافه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره، بل ثبت أن كلاً منهم نودي باسمه، فقال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ [مريم: 7]، ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: 12]. ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: 26].

﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ﴾ [البقرة: 35]: ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ﴾ [هود: 48].

﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ [هود: 81].

فمن دعي بأفضل أوصافه وأخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه[2].

ط - أن الله أمر الأمة بأن لا ينادونه باسمه بل ينادونه: يا رسول الله، يا نبي الله، قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: 63].

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير عند تفسيرها كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظاماً لنبيه ﷺ وأمرهم أن يقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله[3].

---

(1) حقوق النبي على أمته (2/ 401).

(2) حقوق النبي على أمته (2/ 402).

(3) تفسير ابن كثير (3/ 306).

ي - أن الله نهى الأمة أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته ﷺ ولا يجهروا له بالقول، كما هو الحال بين الناس - حتى لا تحبط أعمالهم فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات: 2].

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس[1]، فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه، فقال له: ما شأنك؟ فقال: شر - كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار - فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا فقال موسى[2]، فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: اذهب إليه فقل له: «**إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة**»[3].

قال عبد الله بن الزبير بن العوام: ما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه[4].

ك - أن الله أمر الأمة بأنهم إذا أرادوا أن يناجوه ﷺ بأن يقدموا بين يدي نجواهم صدقة ثم نسخ ذلك وأمرهم بالطاعة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن

(1) ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي.
(2) موسى بن أنس بن ثابت، قاضي البصرة.
(3) البخاري رقم 4846، فتح الباري (8/ 590).
(4) البخاري رقم (4845)، فتح الباري (8/ 590).

﴿تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [المجادلة: 12-13].

ل - ما وهبه الله من المعجزات التي تميزت على معجزات من قبله من الأنبياء، فمعجزة سيد الأولين والآخرين هي القرآن العظيم الباقي إلى يوم الدين، الذي لا تنضب معانيه ولا تفنى عجائبه، ولا تنقطع فوائده وهو المحفوظ بحفظ الله له - من التغيير والتبديل والتحريف، فيه دواء وشفاء ومواعظ وأحكام، فيه خبر من سبقنا وأحوال من بعدنا، وهو حبل الله المتين، من آمن به واتبعه رشد، ومن تركه وضل عنه غوى وهلك وخاب وخسر، فهو المعجزة الخالدة الباقية ما بقي الإنسان في هذه الدنيا، بينما تصرمت وانقرضت معجزات من قبله من الأنبياء[1]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحى الله لي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**»[2].

وكذلك فقد وجد من معجزاته ما هو أظهر في الإعجاز من معجزات غيره، كتفجير الماء بين أصبعيه فهو أبلغ في خرق العادة من تفجيره من الحجر، لأن جنس الأحجار مما يتفجر منه الماء

(1) حقوق النبي على أمته (2/ 590).

(2) البخاري رقم 7274، فتح الباري (3/ 247).

وكانت معجزته بانفجار الماء من بين أصابعه أبلغ من انفجار الحجر لموسى عليه الصلاة والسلام[1].

وعيسى عليه السلام أبرأ الأكمه مع بقاء عينه في مقرها ورسول الله ﷺ رد العين بعد أن سالت على الخد ففيه معجزة من وجهين: إحداهما التئامها بعد سيلانها والأخرى: رد البصر إليها بعد فقده منها[2].

فعن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة أنه أصيبت عينه يوم أحد فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا النبي ﷺ فقال: «لا» فدعا به فغمز به عينه براحته فكان لا يُدري أي عينيه أصيبت[3].

والأمثلة في هذا الباب كثيرة وقد تطرق إليها من كتب في الدلائل والخصائص[4].

قال الشافعي: ما أعطى الله نبياً ما أعطي محمداً ﷺ[5].

وقال السيوطي: قال العلماء ما أوتي معجزة ولا فضيلة إلا لنبينا ﷺ نظيرها أو أعظم منها[6].

م - أنه سيد ولد آدم يوم القيامة:

---

(1) بداية السول في تفضيل الرسول للعز بن عبد السلام، ص: 41.
(2) المصدر السابق، ص: 41 - 42.
(3) أبو نعيم في دلائل النبوة، ص: 418.
(4) الخصائص الكبرى للسيوطي، دلائل النبوة للبيهقي.
(5) آداب الشافعي ومناقبه لأبي حاتم، ص: 83.
(6) الخصائص الكبرى (2/ 304)

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من يشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع**»[1].

وسيادة النبي ﷺ للناس يوم القيامة تظهر واضحة جلية بما سيناله من الشرف العظيم يوم القيامة وعلى رأس ذلك الشرف شفاعته في أهل الموقف واختصاصه بذلك من بين الأنبياء والرسل[2].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في دعوة، فرفعت إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسة وقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون بمن يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس: ألا ترون ما أنتم فيه إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من شفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس: أبوكم آدم فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه ما بلغنا؟ فيقول: ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبداً شكوراً، أما ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، نفسي نفسي، ائتوا النبي ﷺ فيأتوني،**

(1) مسلم، كتاب الفضائل (7/ 59).

(2) حقوق النبي ﷺ على أمته (2/ 407).

فأسجد تحت العرش، فيقال: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع، وسل تعطى»[1].

واشتمل الحديث كذلك على خصيصة أخرى تدل على تخصيصه وتفضيله ﷺ وهي كونه أول شافع وأول مشفع فهذا أمر خص الله تعالى به رسوله ﷺ إذ جعله الشفيع يوم المحشر في إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين حتى تنتهي النوبة إليه فيكون هو المخصوص به صلوات الله وسلامه عليه[2]، وقد اتفق المسلمون على أنه ﷺ أعظم الخلق جاهاً عند الله، ولا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه، ولا شفاعة أعظم من شفاعته[3].

ن - أن الله جعل لواء الحمد بيد النبي ﷺ يوم القيامة:

- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، ما من أحد إلا هو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج، وإن معي لواء الحمد، أنا أمشي ويمشي الناس معي، حتى آتي باب الجنة، فأستفتح فيقال: من هذا فأقول: محمد، فيقال: مرحباً بمحمد، فإذا رأيت ربي خررت له ساجداً أنظر إليه**»[4].

---

(1) البخاري رقم 3340، فتح الباري (6/ 371).
(2) حقوق النبي على أمته (2/ 408 - 409).
(3) مجموع الفتاوى (1/ 145).
(4) الحاكم مستدركه (1/ 30) وصححه.

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه، إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر**»[1].

فهذه الخصيصة وغيرها من الخصائص تدل على علو مرتبته ﷺ وعلو منزلته إذ لا معنى للتفضيل إلا التخصيص بالمناقب والمراتب[2].

س - أنه أول من يجيز عن الصراط، وأول من يقرع باب الجنة وأول من يدخلها، وهذه الأمور مما خص به النبي ﷺ عن باقي الأنبياء السابقين، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل قال: أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟... وفيه: يضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته[3].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة**»[4].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك**»[5].

---

(1) مسند أحمد (3/ 2)، سنن الترمذي رقم 3615 حسن صحيح.
(2) غاية السول، ص: 35 حقوق النبي على أمته (2/ 410).
(3) البخاري رقم 806، فتح الباري (2/ 292 - 293).
(4) مسلم، كتاب الإيمان (1/ 130).
(5) مسلم (1/ 130).

5 - توقير النبي ﷺ في آله وأزواجه أمهات المؤمنين:

إن من توقير النبي ﷺ ورعاية جنابه وتبجيله وتعظيمه وتوقير آله وذريته وأزواجه، كما حض عليه ﷺ وسلكه السلف الصالح رضوان الله عليهم:

أ - فآل بيت النبي ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها فإن الله جعل لهم حقًا في الخمس والفيء:

- قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنفال: 41].

- وقال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: 7].

وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ، ففي الحديث عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا: قد عرفنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: **«قولوا: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»**[1].

فالصلاة على آل محمد حق لهم عند المسلمين، وذلك سبب لرحمة الله تعالى لهم بهذا النسب، كما تجب محبتهم لحب

---

(1) البخاري، كتاب التفسير، فتح الباري (8/ 532).

رسول الله ﷺ لهم، ولأن محبتهم من محبة رسول الله ﷺ، وأن نتولهم ونحفظ فيه وصية رسول الله ﷺ حيث قال في يوم غدير خم: «**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**».

فقيل لزيد: ومن أهل بيته يا يزيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قيل: ومن هم؟ قال: آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قيل: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم[1].

ولا تنكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على ظهر الأرض فخراً وحسباً ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم العباس وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين[2]. وكذلك آل عقيل وآل جعفر كما في حديث مسلم السابق.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[3].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته[4].

---

(1) مسلم، كتاب فضائل الصحابة (7/ 122 - 123).

(2) تفسير ابن كثير (4/ 113).

(3) مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي (7/ 58).

(4) البخاري، كتاب الصحابة فتح الباري (7/ 78) رقم 3713.

ب - أما زوجات النبي ﷺ رضوان الله عليهن أجمعين فيجب علينا أن نحفظ لهن حقهن في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام، والمكانة التي جعل الله لهن، فلقد رفع الله مقامهن وبوأهن أعلى منزلة عند جميع المؤمنين وهي منزلة الأمومة، فجعلهن أمهات في التحريم والاحترام فقد قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب: 6].

شرّف الله تعالى أزواج نبيه ﷺ بأن جعلهن أمهات المؤمنين، **أي**: في وجوب التعظيم والإجلال وحرمة النكاح على الرجال، وحجبهن رضي الله تعالى عنهن بخلاف الأمهات[1].

وكيف لا تكون لهن هذه المنزلة والمكانة وهن اللائي اخترن الله ورسوله والدارة الآخرة عندما نزلت آيتا التخيير، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الأحزاب: 28 - 29].

وبعد اختيارهن رضي الله عنهن الله ورسوله والدار الآخرة كرمهن الله تبارك وتعالى وكافأهن، فكان لهن ما أعد الله لهن من الأجر العظيم، ثم ميزهن عن نساء العالمين في العذاب والأجر، ثم الأبناء منهن فقال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: 32].

---

(1) تفسير القرطبي (14/ 123).

يعني في الفضل والشرف، وذلك لما منحهن الله من صحبة نبيه ﷺ وعظيم المحل منه ونزول القرآن في حقهن[1].

ولقد تضمنت سورة الأحزاب كثيراً من الأمور التي أكرم الله بها أزواج النبي ﷺ مجازاة لهن على حسن صنيعهن في اختيارهن لله ورسوله والدار الآخرة، فمن حقهن علينا أن نحفظ لهن هذه المكانة وذلك بأن نتولاهن وأن نثني عليهن بما ورد في فضائلهن ومع ما كان لهن من دور في مؤازرة النبي ﷺ ونصرته، وما كان لهن من دور بعد وفاته في حفظ مسائل الدين ونشرها بين الأمة[2].

والمسلمون: يتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصاً خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعاضده على أمره وكان له منها المنزلة العالية، والصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، التي قال فيها النبي ﷺ: «**فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام**»[3].

6 - توقيره ﷺ في أصحابه رضوان الله عليهم:

ومن توقيره وبره ﷺ توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم... ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص[4] عليه أمر، بل تذكر حسناتهم وفضائلهم، وحميد سيرتهم

---

(1) المصدر نفسه (14/ 177) بتصرف.

(2) حقوق النبي على أمته (2/ 483 - 484).

(3) مجموع الفتاوى (3/ 154) البخاري رقم 3770.

(4) لا يغمص: لا يعاب ولا ينقص في أمر من أموره.

ويسكت عما وراء ذلك[1].

فهم أناس قد اختارهم الله وشرفهم بصحبة نبيه ﷺ وخصهم في الحياة الدنيا بالنظر إلى النبي ﷺ وسماع حديثه من فمه الشريف وتلقي الشريعة وأمور الدين عنه وتبليغ ما بعث الله به رسوله من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها، فكان لهم الأجر العظيم لصحبتهم رسول الله ﷺ والجهاد معه في سبيل الله وأعمالهم الجليلة في نشر الإسلام والدعوة إليه، ولهم من الأجر مثل أجور من بعدهم لأنهم الواسطة بينهم وبين رسول الله ﷺ ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ولقد أوجبت الحال التي كانوا عليها الهجرة والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم وأنهم أفضل من جمع المعدلين والمزكين الذين يجيئون بعدهم أبد الأبدين[2].

ولقد أثنى ربهم عليهم أحسن الثناء ورفع ذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن ووعدهم المغفرة والأجر العظيم فقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: 29].

---

(1) الشفا للقاضي عياض (2/ 611 - 612).

(2) حقوق النبي أمته (2/ 486).

- وأخبر في آية أخرى برضاه عنهم، ورضاهم عنه، فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [ص: 100].

- وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18].

وأمر النبي ﷺ بالعفو عنهم والاستغفار لهم فقال: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159].

وأمره بمشاورتهم تطييباً لقلوبهم، وتنبيهاً لمن بعدهم من الحكام على المشاورة في الأحكام فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 159].

وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم، وأن لا يجعلوا في قلوبهم غلاً للذين آمنوا فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: 10].

وأثنى رسول الله ﷺ ونهى عن النيل منهم فقال ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»(1).

كما شهد ﷺ بكونهم خير أمته التي هي خير الأمم، فقال ﷺ: «**خير الناس قرني**» فالصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه

(1) البخاري رقم 3673، فتح الباري (7/ 21).

عليهم وثناء رسوله ﷺ، قال النووي: الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به[1].

- وقال ابن حجر: اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة[2].

- وعن أبي زرعة قال: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة[3].

7 - الصلاة والسلام على النبي ﷺ:

ومن حقوق الرسول ﷺ الثابتة التي تعد جانباً مهماً من جوانب تعظيمه وتوقيره ﷺ ألا وهو الصلاة والسلام عليه ﷺ، فقد أمرنا الله ﷻ بذلك فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]، فهذه الآية هي الأصل في بيان الحق هذا الحق، وأجمع أهل العلم على أن فيها من تعظيم الرسول ﷺ وبيان منزلته والتنويه بمقداره ما ليس في غيرها[4].

---

(1) تدريب الراوي (2/ 214).

(2) الإصابة (1/ 17).

(3) كتاب الكفاية للخطيب البغدادي، ص: 97.

(4) حقوق النبي ﷺ على أمته (2/ 514).

والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين: العلوي والسفلي جميعاً[1]، وبهذه الآية شرف الله نبيه ﷺ في حياته وبعد موته وأظهر للعالمين منزلته عنده[2].

وقد تضافرت الأدلة النقلية الصحيحة على مشروعية الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ في سائر الأوقات وكثير من الأماكن، وتتأكد تلك المشروعية في مواطن إما وجوباً وإما استحباباً مؤكداً[3].

ومن هذه المواطن في الصلاة في التشهد الأول، وفي التشهد الأخير منها، وفي آخر القنوت، وبعد التكبيرة الثانية من صلاة الجنازة، وفي الخطب، كخطبة الجمعة والعيدين، والاستسقاء، وغيرها، وبعد إجابة المؤذن، وعند الدعاء، وعند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وعلى الصفا والمروة، وعند اجتماع القوم قبل تفرقهم وعند ذكره ﷺ[4]، ولصلاة العبد على النبي ﷺ أجر عظيم وفضل عميم طالما حصله الذاكرون المصلون وضيعه الغافلون[5].

---

(1) تفسير ابن كثير (3/ 514).
(2) الواسطة بين الله وخلقه، د. المرابط الشنقيطي، ص: 213.
(3) المصدر نفسه، ص: 214.
(4) هناك مواطن أخرى بينها ابن القيم والسخاوي.
(5) الواسطة بين الله وخلقه، ص: 214.

إن طلب الصلاة من الله على رسوله ﷺ هو من أجل أدعية العبد وأنفعها له في دنياه وآخرته[1].

والأحاديث التي جاءت في فضل الصلاة على النبي ﷺ كثيرة منها:

- حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**»[2].

- وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «**ما شئت**»، قلت: الربع؟ قال: «**ما شئت، وإن زدت فهو خير**» قلت: النصف؟ قال: «**ما شئت وإن زدت فهو خير**»، قلت: الثلثين؟ قال: «**ما شئت، وإن زدت فهو خير**»: قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «**إذن تكفي همك ويغفر لك ذنبك**»[3].

وبوقفة يسيرة مع هذه الأحاديث وغيرها كثير يعرف المرء عظيم فضل الصلاة على النبي ﷺ وأن يجني بامتثال هذا الأمر ثمرات نافعة ويحصل على فوائد جمة في الدنيا والآخرة، وذلك

---

(1) المصدر نفسه، ص: 214، نقلاً عن بدائع الفوائد.

(2) مسلم، كتاب الصلاة (4/ 85).

(3) سنن الترمذي (4/ 646) حسن صحيح.

لأن صلاتنا على النبي ﷺ امتثال لأمر الله أولاً وموافقة له ﷻ في الصلاة على النبي ﷺ ثانياً، وكذلك موافقة ملائكته الكرام عليهم السلام، وإن اختلفت تلك الصلوات، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله عليه ثناء وتعظيم وتشريف، وصلاة الملائكة عليه رقة تبعث على استدعاء الرحمة[1].

وقد ذكر العلامة ابن القيم في الباب الرابع من كتابه الرائع «جلاء الإفهام» عدداً من تلك الفوائد الجمة والثمرات النافعة من أهمها:

- امتثال أمر الله.
- حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.
- أنه يرفع عشر درجات.
- أنه يكتب له عشر حسنات.
- أنه يمحي عنه عشر سيئات.
- أنه يرجي إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، فهي تصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين.
- أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له.
- أنها سبب لغفران الذنوب.
- أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.
- أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة.
- أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها.

(1) الشفا (2/ 50)، فتح الباري (8/ 532).

- أن الصلاة عليه ﷺ سبب لمحبته للعبد.

- أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه.

- أنها سبب لعرض المصلي عليه ﷺ وذكره عنده.

- أن الصلاة عليه ﷺ أداء لأقل القليل من حقه، وشكر له على نعمته التي أنعم الله بها علينا.

- أنها متضمنة لذكر الله وشكره، ومعرفة إنعامه على عبده بإرساله[1]، هذه بعض الفوائد والثمار في الصلاة على النبي والأحاديث التي بينت الفوائد كثيرة منها:

- قال رسول الله ﷺ: «**من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً**»[2].

- وقال رسول الله ﷺ: «**من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات**»[3].

- وقال رسول الله ﷺ: «**إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة**»[4]، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وكما وردت أحاديث ترغب في الصلاة على النبي ﷺ وتبين فضلها فقد وردت أحاديث تذم تارك الصلاة عليه ﷺ.

---

(1) جلاء الإفهام، ص: 335 إلى 344 بتصرف.

(2) مسلم، كتاب الصلاة (2/ 17).

(3) صحيح ابن حبان، انظر: موارد الظمآن، 2390، النسائي في عمل اليوم والليلة رقم 63، ص: 166.

(4) فتح الباري (11/ 167) لا بأس بسنده.

- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة**»[1].

- وعن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي**»[2].

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نسي الصلاة علي خطئ طريق الجنة**»[3].

ونرجو من الله تعالى أن يرزقنا حسن الاقتداء والحرص على اتباع النبي ﷺ والقيام بحقوقه وأن يحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1) سنن الترمذي (5/ 551) رقم 3545، صحيح ابن حبان موار الظمآن رقم 2387.

(2) سنن الترمذي (5/ 551) رقم 3546، صحيح ابن حبان، انظر موارد الظمان رقم 2388.

(3) سنن ابن ماجه (1/ 164) رقم 895 وقال الألباني حسن صحيح، صحيح ابن ماجه (1/ 150].

الخاتمة

وبعد: فهذا ما يسره الله لي من الحديث عن الإيمان بالرسل والرسالات في هذا الكتاب، وقد سميته «الإيمان بالرسل والرسالات»، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليَّ. فله الحمد والمنة، وما كان فيه من خطأ، فأستغفر الله تعالى، وأتوب إليه، والله ورسوله بريء منه، وحسب إني كنت حريصاً ألا أقع في الخطأ، وعسى ألا أحرم من الأجر.

أدعو الله أن ينفع بهذا الكتاب بني البشر أينما وجدوا ويكون سبباً في الهداية والتعليم والتذكير، ورد الشبهات عن من اصطفاهم الله لدعوته الخالدة.

كما أرجو من الله تعالى أن يطرح البركة والقبول في كل ما أكتب وأن يجعل كل حرف وكلمة وجملة وصفحة وكتاب خالصاً لوجهه الكريم وعلى خطى ومنهج سيد المرسلين.

وأرجو من القارىء الكريم ألا ينسى العبد الضعيف من الدعاء بالسداد والتوفيق، فإن دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى، وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

وبقول الشاعر:

ومما زادني شرفاً وتيهاً ... فكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صيرت أحمد لي نبياً

«سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك».

كتب صدرت للمؤلف

1 - السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.

2 - سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

3 - سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

4 - سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

5 - سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

6 - سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

7 - الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.

8 - فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم.

9 - تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.

10 - تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.

11 - عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.

12 - الوسطية في القرآن الكريم.

13 - الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.

14 - معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.

15 - عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.

16 - عصر الدولة الزنكية.

17 - دولة السلاجقة.

18 - الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.

19 - الشيخ عبد القادر الجيلاني.

obeikandl.com